بمناسبة زيارتي سمو ولي العهد الأمين لسوريا ولبنان

اذاجاء (وقت العمل) يتحرك قادة المملكة لتكريس التضامن وتفعيل العمل العربي المشترك

بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين.. سمو ولي العهد يؤكد لقادة سوريا ولبنان وحدة الموقف والمصير

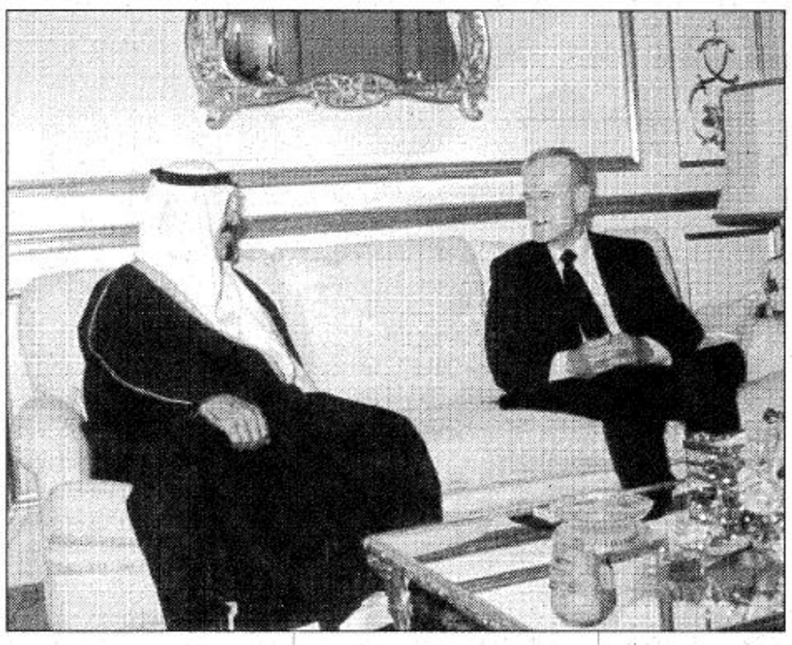

الزيارة لتأكيد ارادة السلام عربيا ولتعبئة الأمة بمواجهة تحديات السياسة الإسرائيلية العدوانية

اعداد :
القسم السياسي بالجزيرة

في خطبته الشهيرة بمناسبة تكريمه لضيوف الرحمن في حج عام 1350هـ الموافق عام 1932م قال الملك الوالد المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل – يرحمهم الله اجمعين – (إنني لست من رجال القول الذين يرصون اللفظ بغير حساب وانما انا رجل عمل اذا قلت فعلت وعيب عليّ في ديني وشرفي ان اقول قولا لا اتبعه بالعمل، فهذا شيء ماعتدت عليه ولا احب ان اتعوده فاذا جاء وقت العمل واللقاء فالعار على الذي يتأخر، واذا برز المسلمون للعمل فالعيب في شرفنا نحن العرب، اذا تأخرنا.. بهذه الكلمات الواثقة الواضحة اختط الملك المؤسس عبدالعزيز لنفسه منهجه العملي في مجالات اخلاق التعامل والسياسة والدبلوماسية في زمني الحرب والسلام.. وهو منهج شكلته في عبقريته قيمه الروحية التي استمدها من تعاليم دينه الاسلامي الحنيف ومن ارث آبائه الاماجد، فكوّن بها رصيده التاريخي من المجد والمآثر التي ارادها ان تكون كنزا وزخرا لابنائه يعترفون منه ويلتزمون بمنهجه في اعمالهم ومعاملاتهم مع مواطنيهم ومع أبناء وقضايا امتهم العربية الاسلامية في مختلف الظروف والاحوال السياسية والاقتصادية والامنية والعسكرية.

أبناؤه يلتزمون منهجه

ومن منطلق هذا المنهج الاخلاقي والسياسي الواضح واصل ابناؤه الملوك والامراء من بعده – يرحمه الله – عملهم وتعاملهم.. فكانوا كما يشهد لهم العالم اليوم – وتشهد لهم اعمالهم وتحركاتهم – لا يقولون قولا الا وقرنوه بالعمل، ولا يقدمون على عمل الا وقد وفروا له اسباب النجاح وامكانات النصر لخير وطنهم ومواطنيهم او لخير أوطان شعوب امتهم العربية والاسلامية.

زيارتا سمو ولي العهد لسوريا ولبنان

في اطار هذا المنهج السياسي الراسخ في الدبلوماسية السعودية وتعبيراً عن الالتزام الاخلاقي والتطبيقي لمبدأ التحرك في (وقت العمل) كما قال الملك عبدالعزيز – وبتوجيه من اخيه ومليكه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود – يحفظه الله – يتحرك صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني في اهم مساحتين عربيتين يتركز عليهما الاهتمام وتتجه اليهما انظار اكثر من مليار عربي ومسلم وهما الساحة السورية والساحة اللبنانية اللتان تتعرضان منذ ان توقفت المفاوضات مع اسرائيل على مسارهما لضغوط سياسية.

كما تتعرضان لتهديدات عدوانية اسرائيلية بغية تحقيق امرين او احدهما على الاقل وهما:

الامر الاول: ارغام سوريا ولبنان معا على قبول ما تريده اسرائيل من مفاوضات معهما وهو الحصول على السلام بدون مقابل من الارض المحتلة (الجولان السورية) و(جنوب لبنان)!!

الامر الثاني: اذا لم يتحقق الاول، محاولة فك الارتباط الوثيق بين سوريا ولبنان في مسارهما المشترك سياسيا ودبلوماسيا وأمنياً عند التفاوض مع اسرائيل.

الالتزام بدعم دول المواجهة

ولتعزيز الموقفين السوري واللبناني او بالاحرى وتعبير ادق لتعزيز «الموقف الواحد» لسوريا ولبنان بمواجهة تلك الضغوط وتلك التهديدات ولتأكيد التزام المملكة ملكا وولي عهد وحكومة ومواطنين بوحدة المصير العربي فان زيارة سمو ولي العهد الامين لكلا البلدين الشقيقين تعد – الزيارة – ترجمة عملية لما يمكن ان توصف بـ«النقلة النوعية» التي احدثتها المعطيات السعودية للعمل العربي المشترك خصوصا بشأن دعم دول المواجهة العربية.

فقد كانت المملكة اول من استخدم لفظة (التزام) في دعم المواجهة بدلا من لفظة (مساعدات او معونات).. وقد ورد هذا التعبير (التزام) او (التزامات المملكة) في خطاب للملك فيصل – عليه رحمة الله – ألقاه في مؤتمر الخرطوم عام 1967م عقب الهزيمة العربية في حرب يونيو 1967م حيث قال – رحمه الله – ان المملكة التزمت بدعم دول المواجهة.

وقد اوفت المملكة بكل التزام تقطعه على نفسها لدعم دول المواجهة منذ ذلك التاريخ.

وقد تحول ذلك الالتزام في سياسة المملكة تجاه قضية الصراع العربي/ الاسرائيلي من مجرد تعهد الى مبدأ ثابت في سياستها العربية والاسلامية.

التضامن كقاعدة للعمل المشترك

على ان المملكة في جميع مراحل تاريخها منذ عهد الملك الوالد المؤسس عبدالعزيز – عليه رحمة الله – والى هذا العهد الزاهر بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز – اطال الله عمره – تدرك ان القاعدة الموضوعية التي لا يصلح العمل العربي المشترك في غيابها، هي قاعدة التضامن العربي، ولهذا كانت المملكة دائما شديدة الحرص على تكريس التضامن بين الحكام العرب وجادة الجهود في العمل من اجل بناء عمل عربي مشترك مدروس وقائم على استراتيجية سياسية اقتصادية وأمنية وعسكرية واضحة الرؤية للاهداف والنتائج.

من قمة دمشق الثلاثية الى قمة القاهرة الشاملة

ولعل آخر جهود المملكة من اجل تكريس التضامن لكي تتحقق استعادة العمل المشترك هو مشاركتها الفعالة في القمة الثلاثية في دمشق التي اثمرت عقد اول قمة عربية موسعة في يونيو من العام الماضي في العاصمة المصرية بعد انقطاع طويل عن عقد القمم العربية الدورية العادية منها والاستثنائية.

وبتوجيه من خادم الحرمين الشريفين قاد سمو ولي العهد جهود المملكة في القمة الثلاثية في دمشق ثم في القمة الموسعة في القاهرة التي اتخذت عدة قرارات تكفل بالعمل المشترك مواجهة التحديات الاسرائيلية والمخاطر التي تنجم عنها على الصعيدين العربي أولا، والاسلامي ثانيا.

الخلفية الفكرية لمعنى التضامن

وفكرة التضامن والعمل العربي المشترك تنطلق في ذهنية قيادة المملكة من «اجل الوحدة» فالمملكة دائمة التأكيد على اهمية وقيمة عنصر (الوحدة) العضوية والسياسية والامنية والعسكرية والاقتصادية عربيا بالنسبة للقضايا ذات الطابع العربي وان لن يكن لها عمق اسلامي.. واسلاميا بالنسبة للقضايا العربية ذات العمق الاسلامي كقضية القدس الشريف ثم القضايا الاسلامية الصرفة التي لا يقف الطرف العربي منها موقف المتفرج بحكم العلاقة المصيرية بين العالمين العربي والاسلامي.

وبرزت دعوة المملكة الى الوحدة وفاعليتها في قيادتها الناجحة للدفاع عن القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع العربي/ الاسرائيلي وخصوصا بعدما اتخذ هذا الصراع العربي/ الاسرائيلي بعده الديني حين اعلنت اسرائيل في عام 1981م ضم القدس اليها واعتبرتها عاصمة موحدة لها والى الابد!

وقبل ذلك عندما قام مجرمون صهاينة في اغسطس عام 1969 بإحراق المسجد الاقصى المبارك ثم توالت الاعمال الاجرامية الصهيونية منذ سلامة المسجد الاقصى كالحفريات تحت اساساته بغية انهياره وهدمه واجراءات تهويد مدينة القدس وآخر تلك الاجراءات ما تقوم به اسرائيل الان من اعمال اولية لانشاء مستوطنة يهودية في جبل ابو غنيم بالقدس الشرقية.

القدس مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة

وذات يوم وفي احد احتفالات الرياض بذكرى تأسيس الثورة الفلسطينية المباركة قال صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبدالعزيز امير منطقة الرياض مخاطبا ذلك الاحتفال: «ان القدس بالنسبة لنا مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة.. ونحن والفلسطينيون شركاء مصير وليسنا فقط حلفاء طريق».

وبهذا التقييم يبلور قادة المملكة البُعد الفكري السياسي والالتزام الديني والاخلاقي بالدفاع عن القدس كرمز لجوهر القضية الفلسطينية التي جعلت الصراع العربي مع اسرائيل يمتد الى جميع دول المواجهة المباشرة ويجر اليه – بالتالي – جميع الدول العربية والاسلامية، لأن قضية القدس وبالتالي قضية الشعب الفلسطيني – كما قال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز – حفظه الله – (قضية استراتيجية مصيرية الامر الذي لا يمكن ان تفرط فيه المملكة بأي حال).

دعم القدرات الذاتية لكل دولة عربية واسلامية

وقادة المملكة يعرفون ان تحقيق التضامن كقاعدة للعمل العربي المشترك يحتاج كلاهما الى قدرات ذاتية لكل دولة ثم الى تكامل هذه القدرات في اطار استراتيجية شاملة متعددة الابعاد اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وتجاريا وامنيا وعسكريا واعلاميا بما يخدم الهدف النهائي.

وتأسيسا على هذه القناعة وتفعيلا لها لتنمية تلك القدرات العربية لكل دولة بادرت المملكة الى تقديم المساعدات المالية والعينية لبناء الاقتصاديات العربية في شكل قروض ميسرة ومنح وهبات لا ترد.

وخلال الخمس والعشرين سنة الماضية قدمت المملكة للدول العربية وحدها (21) مليار دولار امريكي لدعم جهودها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية حتى تتواكب نشاطاتها التنموية معها ومع دول الخليج العربي التي تقدم مساعدات بجانب المملكة.

كما ان المملكة قدمت للدول الاسلامية مبلغا مماثلا من القروض والمنح والهبات لدعم جهودها التنموية الاقتصادية والاجتماعية.

والمملكة تدرك ببصيرة نافذة ان الصمود السياسي والعسكري وتماسك الجهات الداخلية تحتاج الى هذه القدرات التي لا تكون فاعلة بدون هذا الدعم المالي والعيني للتنمية الشاملة في كل بلد عربي ومسلم حتى تتضافر الجهود وترتقي وتصل الى المستوى الذي تقبل به التحديات بروح التضامن، ومنهج العمل المشترك.

وتعبيرا، بل ترجمة عملية لكل ما تقدم وبدافع الشعور بالمسؤولية المتميزة للمملكة تجاه قضايا امتها العربية والاسلامية، دفاعا ونصرة ومشاركة في المصير الواحد تتم زيارة صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني لكل من الشقيقتين الجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية للقاء قادتهما والتباحث معهم حول ما افرزته التطورات الراهنة لعملية السلام والتحديات التي تمثلها، وكذلك تشكيل رؤية سياسية استراتيجية موحدة لما يمكن ان يستجد من تطورات واحداث في ضوء معطيات الواقع الراهن حتى تكون الامة العربية كلها في مستوى المواجهة اذا ما قضت السياسة الاسرائيلية على آخر امل في استئناف عملية السلام بنفس الاسس والمبادىء التي قامت عليها من مؤتمر مدريد ومرورا باتفاقات اوسلو وانتهاء بما وصلت اليه من جمود حاليا.

الزيارة المرتقبة

يترقب الشارع السياسي العربي خصوصا، والشارع السياسي الاسلامي والدولي عموما، زيارة سمو ولي العهد الأمين لكل من سوريا ولبنان التي تتم في أدق الظروف السياسية والأمنية التي تمر بها الأمة العربية بعد ان دفعت سياسات الحكومة الاسرائيلية الحالية بعملية السلام في المنطقة الى حافة هاوية الانهيار والفشل بما قد يعيد المنطقة برمتها الى دورة عنف قد يتفاقم الى مواجهة عسكرية جديدة بين اسرائيل والدول العربية لا يعلم إلا الله وحده مدى ما يمكن ان تسفر عنه من قتل ودمار وخراب.

وزيارة سمو ولي العهد لسوريا وبعدها لبنان، والتي تتم بمبادرة وتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله – تعكس مدى الاهتمام الذي يبديه قادتنا الأماجد بالمصالح العربية العليا السياسية منها والأمنية وغيرهما خصوصا عندما تتلبد في آفاق المنطقة العربية سحب سوداء تنذر بمخاطر لا تحمد عقباها.

وتتم الزيارة في وقت تتعرض فيه الدولتان الشقيقتان: سوريا ولبنان الى ضغوط من حلفاء اسرائيل، وإلى تهديدات عسكرية من اسرائيل نفسها بهدف ارغام دمشق وبيروت على القبول بشروط اسرائيل المرفوضة من العرب جميعا للسلام معها.

كما ان الزيارة من أهم اهدافها تكريس التضامن العربي كقاعدة للعمل المشترك ولتأكيد ان الموقف السعودي هو موقف الشريك في المصير العربي الواحد.

ومن المتوقع ان تعيد دوائر سياسية دولية حساباتها ومواقفها الراهنة خاصة تلك المواقف المالئة لاسرائيل أو السلبية من جمود عملية السلام، في ضوء ما يمكن ان تعنيه زيارتا سمو ولي العهد لسوريا ولبنان نسبة لما تمثله شخصيته الكريمة من ثقل واعتبار ونسبة لما تمثله المملكة من وزن في دوائر صنع القرار الدولي.

ولن تجد اسرائيل نفسها مفرّاً من ان تعطي الزيارة الاعتبارات التي تستحقها وما قد يعنيه عندها الدعم المادي والمعنوي من المملكة لسوريا ولبنان في موقفهما الموحد من تهديدات اسرائيل لهما وتعنتها في عملية السلام.

الجزيرة